السجّادة الصّغيرة

قصة بقلم ديزي الأمير

لا لن اعود الى البيت .. لن اعود وليقل الناس عني ما يريدون.. لن اهتم هذه المرة باقوالهم .. ساحقق ما في نفسي ، سأكونها ، ولطالما تمنيت ان اكون نفسي كما اريدها ان تكون لا كما يريدها لي الاخرون .. ثم انتبهت انها تقول هذه الكلمات بصوت يسمع حتى ان بعض المارة استوقفتهم غرابة تصرفها فسكتت واستمرت تحدث نفسها صامتة ... سأقول لعمي انه اسوأ عم في الدنيا ، وان زوجته شيء ما خلق الله ... لقد سكتت فترة طويلة رأيت فيها اثاث بيتنا وحوائجنا وحوائج امي تسيء استعمالها ايد غريبة ، ولكني اليوم لم اعد اتحمل السكوت ، لا ، استطيع ، لا استطيع .. ثم احست بانها على وشك ان تصرخ او تتشبث باحد المارة لتروي له ماحدث لها اليوم ، فاستنجد تفكيرها بخالتها ... خالتها التي تحبها وتغمرها بجو من الحنان والمودة لا تجده في بيتها . ستذهب لخالتها ، وترتمي على صدرها وتبكي وتبكي وتروي لها كيف انها حاولت اليوم ارجاع السجادة الصغيرة الحمراء على المقعد الذي في الزاوية كما كانت تفعل امها . لقد احست انها يجب ان تفعل هذا ، وفاء لامها وثأرا من الاهمال الذي لقيه فرش بيتهم من زوجة عمها . ان مكان السجادة الصغيرة الحمراء ليس امام العتبة ... انها ليست ممسحة تمسح بها الاقدام . ولكن زوجة عمها سحبت السجادة الصغيرة الحمراء من على المقعد ورمت بها ثانية على القبة وهي تقول : « لم لا تهتمين بشؤونك الخاصة بدل التدخل فيما لا يعنيك ؟ » لا يعنيني !! الا يعنيني ان اعتني بفرشنا وارتبه كما كان في منزلنا ؟ .. منزلنا !.. منزلنا !! لقد مرت فترة طويلة جدا منذ ان استعملت ضمير المتكلم : منزلي ومنزلنا! اصبحت تقول : بيتكم وفرشكم وتفعلون وترتبون ، اذ لم تعد تحس يوما واحدا بعد انتقالها الى السكنى في بيت عمها ان هناك شيئا في الدنيا يخصها هي او ان لا الحق في ان تنسبه الى نفسها . وكانت تسمع زوجة عمها تقول : بيتي وفرشي .. مطبخي و... لها كل الحق ان تقول هذا ، ولكن ترى اليس لها هي الحق في ان تنسب الى نفسها شيئا ؟ اي شيء ؟ اي شيء ؟

وعادت بافكارها الى خالتها ، ستروي لها تماما ما تقاسيه . . لقد كتمت عنها ما تعاني اذ لم تر فائدة من تحميل خالتها العزيزة همومها ، ان عمها لن يسمح لها بالسكنى مع خالتها فهو لا يرضى ان يقال عنه انه عجز عن اعالة ابنة اخيه وهو ولي امرها الشرعي . وزوج خالتها ؟ اتراه يرضى ان يعيل فتاة غريبة عنه ؟ انه لطيف دائما معها ويعاملها بكل حنان ولكن هل يعاملها هكذا لو كانت تعيش معهم وكان مسؤولا عن نفقاتها ؟ ترى اهناك فائدة ترجى من اخبار خالتي بما اعاني ؟ لا .. لا ، سأذهب الى بيت ابنة عمتي، انها على كل حال قريبة عمي ، وقد تحاول التفاهم معه ، وهي لم تكن ابدا صديقه لزوجة خالها فستفهم تماما ما اقول او قد تكون راغبة في ان يكون في الجو شيء يعلن عن سوء تصرف زوجة خالها .

وارتاحت لهذه الفكرة ، فكرة الذهاب الى ابنة عمتها لتفتح لها نفسها وتقول لها كل شيء ... وقد تمكث عندها فترة يحس فيها عمها بتقصيره فيأتي اليها يصافحها ، وستخبره كيف تعامله زوجته ، وسيكون جو بيت ابنة اخته اصلح للتفاهم في هذه الامور من بيت خالتها الغريبة تماما عن عمها . ولم تشعر الا وقد قطعت في سيرها شوطا من الطريق ابعدها عن موقف السيارات ، ووجدت في السير متنفسا وان كان الحديث الى نفسها يتعبها كثيرا .

لو كانت تستطيع ان تعمل وتكسب دراهم اذن لاغنتها الدراهم عن كثير من المشاكل التي تلاقيها ، ولكن ما ذنبها ، اذا كان عمها قد اوقفها عن الدراسة حين توفي والدها ؟ وهي لا تستطيع ان تعمل بائعة في محل او ما شاكل هذه الاعمال ، ومحيطها المتحجب لا يسمح بفكرة القيام بعمل يتنافى مع المحافظة كما يحلو لعمها ان يسمي الرجعية وضيق العقل .. ليتها تقدر ان تقول له رأيها فيه وفي كل ما يفكر .. بها .

وكانت احيانا تجد ان نصح الصديقات بقبول فكرة الزوج امر معقول ، ولكن ليتهن يفهمن ما تفهمه هي من الزواج . انها تريد شخصا مثقفا يرفعها من وسطها العائلي ، فهي واثقة من قابلياتها الكثيرة ، ولكن كيف يمكن التنبؤ بوجود انسانة مثلها في محيطها العائلي الذي يدل مظهره على عكس ما في نفسها تماما ؟ ولو قبلت بزوج ترضى عنه العائلة ثم ظهر لها انه نسخة من عمها لكان في هذا انهيار لامانيها ، وما دامت لم تتزوج بعد فلا يزال في نفسها مجال لتأمل وتمن ، وكم يسعد الفرد بأمانيه ، وان لم تتحقق .

واحست بيدها تطرق بابا . انه باب بيت ابنة عمتها . وفتح لها الباب ، فسمعت اصواتا تصدر عن غرفة الضيوف ، كان هناك عدد من الزائرات ، فدخلت ورحب بها الجميع ، وكان الحديث يدور عن صديقه غائبة وظهر لها ان المتحدث عنها غير سعيدة . فاحست ان الكلام لم يكن يخالطه احترام لهذه الغائبة غير السعيدة . وبدأت الحاضرات يحملن هذه الغائبة غير السعيدة مسؤولية شقائها ويضمن كلامهن مديحا غير مباشر لانفسهن . وتذكرت فجأة انها انما جاءت لتشكو همومها ومتاعبها .. ترى لو عرفت الزائرات هذه الحقيقة .. حقيقة انها غير سعيدة ، فهل كن يرحبن بها كما فعلن ؟ لقد استطعت بمظهرها الهادىء وكبريائها ان توهم الناس انها سعيدة ، فلو خلعت هذا القناع وتنازلت عن كبريائها فماذا سيكون ؟ لن يتغير شيء في حياتها ولو زاد شيء لكان فقدان احترام الاخرين وزوال اعجابهم ، والناس لا يحبون ولا يحترمون غير السعداء.. الناس لا يحترمون غير السعداء ماذا لو عرفت الزائرات انها واحدة من اللواتي غير السعيدات ؟ ومن غير ان تدري كيف ، بدأت تتحدث عن زوجة عمها وحبها لها واهتمام عمها بأمرها .. تأملت عيون السامعات وكلها اصغاء واعجاب واحترام فزادها هذا حماسة في الحديث .. كانت المديح لعمها وزوجته فاحترمت هي ، اذ حسبتها الحاضرات تلك المدللة المحبوبة السعيدة حقا ، احتقرت غباوتهن ونظرت في عيني ابنة عمتها ، فرأت نظرات الاعجاب والاحترام نفسها ؟ ولوهلة قصيرة خيل لها ان ما قالته صحيح ولكن سرعان ما استيقظت من هذه النشوة ، فقامت مسرعة تترك بيت ابنة عمتها ، وسارت في الطريق مسرعة، هي تكاد تعدو تريد الوصول الى بيت خالتها . وعند الباب لقيت خالتها على وشك الخروج . سترجع خالتها اذ ستقول لها انها تحتاجها في امر مهم لا يحتمل التأجيل ، وما كادت تفتح فمها حتى بادرتها خالتها بالترحيب وبشكرها على المجيء،اذا كانت في طريقها اليها لتأخذها معها الى السوق، فهي تحتاجها غدا لتساعدها في اعداد وليمة كبيرة . . وطرقت كلمة وليمة

خيط الدم

يا حلما في رأس بحار
عن جزر تحلم ان يمر في رمالها صاري
تعوم في هوائها من دون أغوار ؟
أشجارها . « وترقص الاسماك في الاقفاص » (١)
وتسبح الطيور في الاعماق ،
فلتمنح الليلة أشعاري
دفء الدم الراكض في الأعراق
فلم تعد في قلبي الناري
عواطف لم تبك
لم تحلم يا بحار
ولم تهدهد صوت قيثاري

*

الليل في داري
منفتح الجرح على ثار
مكوم من دونما أحداق
ومثل نبض الحزن في الاعماق
تولول الساعة
شاحبة النبرة ملتاعه
ترهب ان تغتالها سكين جزار
في ليلة مغمضة من دون أقمار

*

يا جبهتي .. يا بركة النار
أخاف ان تنطفئي .. يا كوكبي الساري
اخاف ان تبرد يا نبع الدم الجاري
أخاف ان ...
بطلقة من يد جزار
ان تسبر المدية أغواري
تشق لحمي زبدة صفراء للشاري
لكنها يا بركة النار
لن تهدم الفجر .. وأسواري
ولن ترى دربا لاسراري

*

يا جبهتي ...
أن مت يوما في يد الشارع
بطعنة من يد جزار
تحت ضياء مرهق .. ضائع
فانني يا بركة النار
أفقد حتى صوت اوتاري
أفقد حتى نار اشعاري
أفقد حتى نومي الوادع !
لانني أخجل من عاري !
الا ارى عاصفة النار
تخفق في الصاري
الا أرى الاعياد في الشارع
وضحكة في ثغر قيثار
يا جبهتي ..
فلتشملي بالحلم الرائع
ولتزحفي يا فرحة في قلب اوتاري

بغداد

سلمان الجبوري

(١) مقتبس عن لوحة لبيكاسو تعالج امكانية وضع السمك في الاقفاص ، مع احتفاظها بحياتها في حالة السلام !..

سمعها كأنها آتية من بعيد .. لقد مر زمن بعيد منذ ان اشتركت في ولائم ، والان وفي مثل هذا اليوم بالذات ، تختار خالتها هذا الوقت لاعداد وليمة ؟ ارادت ان تعتذر عن المساعدة وتشرح لخالتها نفسيتها المتعبة ومزاجها الذي لا يوافق جو الولائم ولا يستطيع المشاركة فيه ... انها متعبة مرهقة ولكن .. انها مدينة لخالتها باشياء كثيرة ، فطالما احبتها واهدتها واكرمتها وقد حان اليوم وقت ترد فيه لخالتها بعض افضالها، فكيف تعتذر عن المساعدة ؟ انها اسيرة الفضل ، وما دامت خالتها في نشوة اعداد وليمة فلا حق لها ان تعكر عليها هذا الجو . ستشارك في الاعدادلهذه الوليمة.. انها ليست انسانا يحق له كالاخرين ان يظهرشعوره عليها ان تكظم الامها الى فترة مابعد وليمة خالتها . وآلمها هذا كثيرا . عليها ان تتألم ان تألم الإخرون وان تفرح اذا فرحوا وتضحك معهم وهي تكاد ان تتمزق ، لان لهؤلاء الاخرين فضلا عليها ولا فضل لها هي على الناس حتى يحق لها ان تطلب منهم مشاركتها وجدانيا . وامتلأت عيناها بالدموع وهي تسير بجوار خالتها ، ولم تُسمع شيئا مما قالته عن المدعوين وانواع المأكولات التي ستقدم . بدأ تفكيرها يبحث عن شخص قريب اليها نفسيا تشكو له ولو لم يستطع مساعدتها ، شخص تفتح له نفسها ، تخبره عن كل شيء .. كل شيء . وتذكرت احدى صديقاتها : انها مثلها غير سعيدة ، وهي لذلك ستفهمها ، صحيح انها لن تحل لها شيئا من مشاكلها، ولكن لابأس من التنفيس عن هذا الهم الذي يجثم على صدرها .واستأذنت من خالتها بعد ان وعدتها ان تأتي لتساعد في اعداد الوليمة . ووجدت الصديقة انسانا جديدا . وجدتها في نشوة وسعادة جديدة ، انها تحب، والمحبون انانيون اذا كانوا موفقين في حبهم .

انها لاتفهم ان يكون الحديث عن غير حبيبها ، فهي تتحدث عنه ولا تمل . ومضت تتحدث عن سعادتها واحلامها ، انها مشغولة بهما وهي لم تعد تستطيع ان تفهم كيف يكون الفرد تعسا ! كيف يتألم ! كيف يمكن ان يشكو !

ان مافي نفس صديقتها من رضى على الدنيا يبعدها تمام البعد عن جو الشاكين ، اذن فلتدعها في نعيمها ولتبتعد هي بهمومها فلا حق لها في تنغيص جو المحبين .

وعادت تسير وتسير ، ترى الناس ولا تراهم ، وحين سمعت صوت زوجة عمها يسألها : « أهذه انت ؟ » اجابت من غرفتها : « نعم لقد عدت . »

ديزي الامير